

❦ الفصل الاول ❦

❦ آثار الدماء ❦

« وضعت الحرب اليابانية الروسية أوزارها الآن . تلك الحرب الهائلة التي جرى فيها الدم أنهارا ورجع بعد ذلك مئات الألوف من هؤلاء الضباط والجنود الامناء أصدقاى الى أوطانهم متوجين بأكاليل النصر والامة ترحب بهم شاكرة لهم بلاءهم في الحرب فما أجمل ما يستقبل به المنصرون وما أسعد منظرهم ! على أن قلوبهم ليست مملوءة بالفرح والسرور فقط بل كان يخفى خلف ابتساماتهم هذه زوابع حزن شديد وكانوا يجبرون على اخفاء دموعهم التي كانوا يذرفونها على رفاقهم المتروكين خلفهم مدفونين في ميادين منشوريا البعيدة مؤدين بذلك واجب الطاعة والامانة للوطن اليابانى وميكادو اليابانيين وهم ليسوا أحياء فيشاطرهم اخوانهم في السرور بالعودة الى الاوطان منتصرين وكنت ترى بعد انتهاء حرب الصين مع اليابان التي حصت في سنة ٩٥ عند ما أمر قسم عسكري بالعودة الى الوطن . عندها توجهت الجنود لزيارة مقابر اخوانهم الذين راحوا ضحية في ميدان القتال لتقديم الوداع الاخير لهم . اذ تقدم أحد الجنود من الصفوف وضرب حجر مقبرة صديقه الحميم قائلا والدموع تتساقط : « عزيزى كانو » انى راجع الآن الى اليابان وسأقول لقومى أنا بعد أن قابلنا العواصف والاعطار معا وحاربنا خلال المقدوفات المتساقطة علينا جنبا لجنب لقيت حتفك انت بدلا منى وأنى أشعر أنى لم أصب فى

ذلك مازجا الضبط والربط الشديد مع اخوة المحاربين المتينة كأن الجميع آباء وأولاد واخوة وبالنظر الى هذه النقطة فنجاح أو خيبة الجيشين يمكن أن يظهر جليا من قبل المحاربة وقد فاه بذلك المستر جارفلد الزائر الروسي وظهرت حقيقة ما تنبأ به بعد

ومع كون جيشنا شديد النظام ولكنه يوجد تآلف بين الدرجات العالية والواطية فيه وكانت الجنود تغبط بعضها على تقديم أنفسهم على هيكل وطنهم فروح انكار النفس كانت منتشرة بينهم بدرجة عالية وهذه هي غريزة جيش (ياماتو) الفطرية وقد ظهرت روح الامة الرفيعة هذه في محاصرة بورت ارثور خصوصا بكل قواها فاذا حصرنا التالف المادى الذى لحق جيشنا المحاصر لها لوجدناه هائلا ولكن لو لاحظنا أيضا النشاط الروحانى الذى استمر فيه لوجدنا تاريخنا عظيما اذا انها ضمت فخرا جديدا الى تاريخ جيشنا وانك كنت ترى أقل جندى يحارب فى الميدان ببسالة فائقة مقابل الموت كأنه متوجه الى أهل بيته وكان يصحب هذه الشجاعة حنو وانعطاف وكانوا يحترمون ويتبعون ما يلقى عليهم الشرف والواجب مما فى جميع خدماتهم صارخين بانزاي (هتاف دعاء) الى جلاله الامبراطور فى وقت موتهم فعمل روح الساموراي (المحارب اليابانى القديم) هذا هو مخالف بالمرّة لسلوك روح الجنود الروسية التى تظهر فى ميدان القتال ناظرين فقط الى النباشين والدراهم التى أمام أعينهم أما البوزباشى سا كوراي فهو الاخ الاصغر لصديقى المستر شيكوبيشيو سا كوراي وكان له حظ شخصى فى رواية بورت ارثور المحزنة وهو منابط شجاع وكاتب ليس بقابل القدرة

تركك وحدك هنا ورجوعي وحيداً سالماً . ولكن كن مسروراً يا عزيزي
« كانوا » فان شبه جزيرة (لياوتنج) صارت ملكنا الآن . وعظامك
حينئذ تضمها أرض من اليابان المحبوبة . فكن مستريحاً . أفهمت « يا كانوا » ؟
ها أنا ذاهب »

تلك هي الكلمات التي فاه بها جندي يودع روح رفيقه من صميم قواده
كما لو كان حياً ساعياً في تعزية هذه الروح الباسلة العزيزة وبعد ذلك استمر
برهة صامتاً ثم مسح دموعه وصب مما يحمل ماء على قبر صديقه ورجع متباطئاً
الى مكانه في الصف . فمن ذا الذي لا يرسل الدموع مشتركاً في الشهور مع
هذا الجندي البسيط الفكري ؟

نعم . العودة الى الوطن لا سيما بعد النصر هي بدون شك من أعظم
الافراح بل هي أعظمها . ولكن كيف يتحمل الانسان الاقتراق وهو شديد
التأثير ؟ وعلى الاخص عند ما يقف قبل الرجوع الى الاهل والخلان أمام قبر
فريد لأحد رفقاته الجنود الذي كانت الربطة بينهما أشد وأمتن من رابطة
الاخوة لا شترا كهما معا في تنفس رائحة دخان البارود الكريهة واقتحامهما
أمطار الرصاص الهاطل ليلاً ونهاراً ؟

بعد أن رجعت هذه الفرقة الى الوطن العزيز علمت ان شبه الجزيرة
ذاك قد نزع منهم فيها أسفا عليك يا « كانوا » مت مبتسماً بالوطنية ممزياً
نفسك بأنك في أرض يابانية فهل مت لغير قصد عال . وهل كانت شهرتك
الدائمة كاذبة ؟ أي غضب أم أي خيبة يمكن تصورهما الآن إذا تحقق ان جثة
« كانوا » الامين لم تدفن في أرض يابانية كما كان يشتهي ؟

لقد أجبرت ألمانيا وفرنسا اليابان بعد تلك الحرب المشهورة على إخلاء
كوريا وبعد ذلك احتلتها روسيا مع منشوريا بوافق مع الصين مما أدى
إلى الحرب الأخيرة بعد مداولة عشر سنين بين اليابان والصين بدون
جدوى . لقد مضت عشر سنين ونحن نترب سنوح الفرصة لمعاقبة الظالمين
حتى أتى اليوم الذى نزل فيه الجيش الامبراطورى اليابانى العظيم الى
البر نفسه والمكان عينه الذى حصلت به الموقعة اذ ذاك وهناك حملت تلك
الجثث لدفنها فى محل اشتروه بدمائهم وكان لهم أولا ثم نزع منهم ثانيا وعند
ما نزلت الى ذاك الموضع وعلمت أقدامى على الارض صحت هذه ولا ريب
أرض يابانية بما انها صبغت بدم جنودنا البواسل قبلا وكنت أبحث بامعان
حتى أن اعثر على بعض آثار لا ولتلك الشهداء الاولين ولكنى لم أرسثنا يدل
على مقابرهم وان كنت متحققا أن ارواحهم كانت معنا دائما تهدينا فى الوقائع
ونحركنا لكي نعمل بكل استطاعتنا لبلادنا ومليكنا

ولقد كنت أبحث الجنود الذين هم تحت امرتى بالكلمات الآتية
« ان تحت أقدامكم أديما هو من أجساد اخوانكم السابقين . أما
أرواحهم فانها لم تنزل تحوم فوق رؤوسكم غير واجدة الراحة الأبدية . فلا بطلان
يموتون ولكن أرواحهم خالدة . وهى تحارب بجانبكم الآن وان كانت فى
عالم آخر »

وبركة السماء وصلاح جلاله للميكادو هزمت قواتنا الامبراطورية
العدو برا وبحرا وتوج قتالنا بنجاح باهر لم يماثله آخرو صار لنا كرامة ومركز
نفتخر بهما بين العالم ولو أن هذه الارض التى نزعنا منا ردت اليها الآن

وتلك المقابر التي تسكنها جثث هؤلاء الرفاق السابقين أصلحت وصارت تزار
فإننا لم نحصل على كل ذلك إلا بعد اهراق دماء أضعاف ما سقيت به تلك
الأراضي من عشر سنين مضت والنفوس التي ضحيت أخيراً كانت أضعاف
التي ضحيت أولاً ولكن ضباط وجنود جيشنا كانوا كرجل واحد أقوياء
في الحق بوسائل أمام عدو هائل لا يقفون إلا إذا ظفروا وكانوا مستعدين
للموت راضين به لهذا الغرض العظيم وقد أمضوا ثمانية عشر شهراً كلها
متاعب وحرموا من كل طيب بين جبال (لياوتنج) وفي ميادين (منشوريا)
وعلى بحر اليابان والبحر الأصفر وهذا هو الفخر الذي تتقاسمه ذرايعهم إلى
الأبد والمجد المخلد على صفحات التاريخ

وانى أترك تدوين أخبار الحرب الروسية اليابانية إلى أفلام مؤرخين
ممكنين وكتاب قادرين . أما أنا فأذكر هنا باعتبارى محارباً صغيراً أشترك
فيما يمكن أن يسمى أشد بل أقطع وافعة (أعنى بورت ارثور) في تاريخ
الحروب والفنون العسكرية وقد فكرت في أن أسطر بيدي التي لم تعتد
تحريك القلم (بيدي اليسرى) منذ كرات عن الذي جربته بنفسى في
محاصرة (بورت ارثور) حتى يتيسر للذين لم يسبق لهم الوجود في أماكن
تمائلها أن يتصوروا بأنفسهم هذا المنظر الهائل على قدر الامكان ،

